محطات تاريخية في مسار ثورة (26 سبتمبر)

إن سبتمبر العظيم الحدث التاريخي الهام الذي لا يضاهيه أي حدث في تاريخ اليمن شماله وجنوبه ، الحدث الذي تجسدت به إرادة الشعب اليمني ورغبته في الحياة الحرة الكريمة لم يكن بأي حال من الأحوال كما رسمته ريشة أقلام الاستعمار أتباعه من العملاء والأغبياء على صفحات من الزور والبهتان كضرب من ضروب الحرب التي مارسها ضده منذ استهلال قمره الوضاء ، فمن ينكر أن سبتمبر الثورة اليمنية هو الطلقة النجلاء التي فوجئ بها الاستعمار بشكله القديم والجديد تهوي عليه من قلب الحظيرة العربية مرتع مصالحه ومطامعه.

أجل لقد حارب الاستعمار ومن يدور في فلكه ثورتنا الظافرة من أول يوم قيامها ، ففي الأسبوع الأول احتلت قواته العدوانية مدينة صعدة عاصمة لواء الشام وحاصرت الحامية العسكرية في جبل السنارة في الأسبوع نفسه احتلت قواته العدوانية مدينة مأرب وحريب وفي منتصف الأسبوع الثاني احتلت قواته العدوانية جبال مريس زاحفة على مركز قعطبه ، ومن هنا أملت على الثوار والضباط الأحرار شرعية الدفاع عن أراضي الوطن عن حماه.

وعندما حقق الشعب في شمال الوطن طرد الأتراك بعد الحرب العالمية الأولى لم يكن الإمام يحيى يملك أي تصور واضح لطبيعة المهام التاريخية الجسام التي كان على الدولة اليمنية أن تقوم بها .إن الإمام كان أسير نظرة رجعية متخلفة وكان جل همه أن يرث الأتراك على أيه رقعة يمكنه أن يحكمها حكماً مطلقاً ، لقد كان تخلص الإمام يحيى من الذين شاركوا في مقاومة الأتراك واستبداده المطلق حافزين أساسيين لمناهضة حكمه ، وقد بدأ التململ في شكل مطالب بالإصلاح تمثلت في جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعل أفكار الإصلاح التي نادت بها مدرسة مجلة الحكمة اليمانية (1939 1941م) كانت خلاصة لاجتهادات أبناء ذلك الجيل للخروج باليمن من دائرة التخلف إلا أن رهبة الإمام لكل جديد جعلته يتخلص من رئيس تحرير الحكمة بالسم.

فترة الثلاثينات

وشهدت فترة الثلاثينات إلى جانب مدرسة الحكمة وجمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نشاطاً ثقافياً تمثل في نادي الثقافة في الحجرية1934م. وبدأت الصحوة الفكرية تقلق نظام الإمامة ولعل لعام 1934م مكانة خاصة في تاريخ الشمال الحديث لارتباطه بعدة أحداث تاريخية هامة كان لها تأثيرها ، ومن ذلك وجود حركة الأحرار اليمنيين ، وحركة الأحرار الدستوريين ، بالإضافة إلى اشتراك التجار وبعض رجال الإقطاع المستنيرين في حركة المعارضة الجديدة ، و عندما فر بعضهم من تعز إلى عدن ، كان الإمام أحمد(ولي العهد في ذلك الوقت)يردد بأنه يريد أن يلقى ربه وسيفه مخضب بدماء العصريين ، بعد أن تظاهر لفترة بأنه يعصي والده الطاغية ، وأنه يريد أن يجدد في نظام الحكم بل ويعمل على تحرير الجنوب المحتل .

لقد أطاحت القبائل التي هاجمت صنعاء بدولة الدستوريين ولا شك أن الجيش كان من نقاط الضعف التي أحسن ولي العهد أحمد استغلالها ، كما أن حركة الدستوريين لم تكن لها أي صلة تذكر بالفلاحين " القبائل " ولذا تمكنت الإمامة من نشر أفكار مضللة عن الدستور والأحرار وصورت الدستور بأنه اختصار للقرآن وأن الدستوريين كفرة ملحدين.

انقلاب فبراير 1948م

إن حركة الأحرار وانقلاب فبراير 1948م كان بمثابة الحجر الذي ألقي في ماء أسن فأحدث هزة ربما تحرك الأعماق بقوة ولكن الدوائر التي ارتسمت على سطح الماء أصبحت بمرور الزمن عوامل إثارة وتحريض والذين جاؤوا بعد الانقلاب كان عليهم أن يخطوا الخطوة الثانية بعد الذين سبقوهم . وبعد فشل انقلاب 1948م هزم العرب في فلسطين ولم تفتح القاهرة أبوابها للزبيري إلا بعد ثورة يوليو 1956م ، ثم تلاحقت الأحداث في الوطن العربي وأصبحت فكرة الوحدة القومية والنضال ضد الاستعمار محور الحياة السياسية والفكرية في تلك السنين ، بعد ذلك أخذت الحياة السياسية تتطور من خلال العديد من الاتجاهات المختلفة وكان لوجود الجيش المصري في الشمال دور في إشعال نار الثورة في الجنوب ، وكان الإتحاد اليمني في هذه الآونة وحدة شخصية (الزبيري والنعمان) اللذان أرادا أن يرمزا إلى الوحدة الوطنية وأن يجسدا استمرار حركة الأحرار التاريخية ، وكانت هذه التيارات كحركة البعث والقوميين العرب والشيوعية العربية تحاول أن تشق طريقها إلى حياة سياسية جديدة وتطمح في تغيير المجتمع اليمني ، وكانت هذه التيارات تعمل على امتداد اليمن كله من الشمال إلى الجنوب ، وفي عام 1962م كان التاريخ في شمال اليمن " المملكة المتوكلية" على موعد مع فجر26من سبتمبر ليعود اليمن إلى العروبة وإلى التاريخ بعد فترة العدم الطويلة.

خلاف الأسرة الحاكمة

كانت أصعب فترة يواجهها الإمام أحمد منذ أن تولى شؤون الحكم في اليمن بعد مقتل أبيه في حركة 1948م هي تلك الفترة الواقعة بين عامي (1954م و 1962م) حيث تبلور الخلاف على السلطة بين أفراد الأسرة الحميدية بشكل واضح نتيجة للطموح الذي سيطر على عدد من الأمراء وفي مقدمتهم الأمير الحسن ، وقد أشتد الخلاف وتحول إلى صراع مباشر بعد أن برز كل من الأمير عبد الله والأمير العباس في الحركة الانقلابية التي تزعمها عسكرياً الشهيد المقدم أحمد الثلايا في شهر مارس 1955م ضد الإمام أحمد مما دفع الأخير إلى التردد في القضاء على منافسيه بالسيف فأعدم الأميرين عبد الله والعباس في معتقلهما بحجة وأصر على استمرار نفيه لأخيه الحسن خارج البلاد .

الإعداد الفعلي للثورة الخالدة يرفع إلى العمود الذي بعده

بعد عقد اجتماعات تمهيدية عديدة للضباط على مختلف المستويات من الجيش والأمن تقرر إنشاء تنظيم ثوري سري يسمى "بمنظمة الضباط الأحرار " ، ثم تطورت التسمية إلى "تنظيم الضباط الأحرار" ، وفي ديسمبر 1961م عقد الاجتماع الحاسم في منزل الملازم عبد الله المؤيد وحضره العديد من الضباط ، وفي هذا الاجتماع وضعت اللمسات الأولى للتصورات والطموحات التي يريد تنظيم الضباط الأحرار أن يحققها على كافة المستويات وفي كل المجالات ، حيث تناول ذلك الحوار الذي دار في الاجتماع جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكانت المسئولية الكبيرة والجسيمة التي وقعت على عاتق هؤلاء الضباط هي تحرير اليمن من كل قيود التخلف والاستبداد في الشمال ورعونة الاستعمار البريطاني في الجنوب ، وبعد أن أستمر هذا النقاش ما يقرب من ثلاثة اجتماعات متوالية أتفق الجميع على أن تكلف اللجنة القيادية في التنظيم بوضع الصيغة النهائية لكل هذه التصورات في شكل أهداف للتنظيم المزمع قيامه ، وكان من الضروري أن يكون تنظيم الضباط الأحرار مستقلاً في نشاطه عن أي تنظيم سياسي آخر وذلك لاعتبارات عديدة أهمها سرية العمل المنظم حيث كانت التجمعات الوطنية آنذاك شبه مكشوفة للسلطات الأمامية ، لهذا كان لابد أن ينشأ تنظيم على نحو يكفل له النمو والنجاح في كل أعماله ، وقد تكون للتنظيم فرعان الأول في تعز والثاني في الحديدة ، وكان للتنظيم علاقات داخلية وخارجية ، وكان له أيضاً علاقات بالأحزاب آنذاك مثل حزب البعث العربي الاشتراكي ، وحركة القوميين العرب وطلائع الماركسيين .

وفاة الإمام أحمد

أنتشر خبر موت الإمام أحمد وإعلانه رسمياً ، وذلك بعد أن واجه قدره حين أنقض عليه ثلاثة من الضباط الأحرار وهم الشهيد الملازم محمد عبد الله العلفي ، والشهيد الملازم عبد الله اللقية ، والشهيد محسن الهندوانة ، حيث صرعوه بتسع رصاصات أحدثت فيه جروحاً خطيرة سقط متأثراً بها ، وقد شاءت الأقدار أن يعيش الطاغية أحمد بعد هذا الموقف الرهيب مدة ثمانية عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً قضاها طريح الفراش محطماً بين جدران قصيرة لا يقوى على فعل شيء حتى وافته المنية في التاسع عشر من شهر سبتمبر 1962م .

وبرغم ما تركه حادث محاولة اغتيال الطاغية أحمد من آثار في نفوس أفراد الأسرة الحميدية إلا أن الموقف السياسي على الصعيدين الداخلي والخارجي ظل يسير على وتيرته السابقة حتى نهاية شهر ديسمبر 1961م حيث صدر قرار إنفرادي من قبل الرئيس جمال عبد الناصر بإلغاء الوحدة بين مصر وسوريا واليمن بعد نشر قصيدة الإمام الشهيرة عن الاشتراكية ، وكان لذلك القرار آثار حسنة في نفوس المسئولين بالسعودية والقوى الحسنية على حد سواء لأنهما كانا يعملان على تدمير الوحدة بين مصر واليمن وسوريا منذ قيامها في 8 مارس 1958م باعتبارها عاملاً كبيراً للبدر ولي العهد أما البدر فقد صدم بإلغاء مشروع الإتحاد لأنه بالنسبة له يمثل وسيلة ذات أهمية في مواجهة الضغوط السعودية وتدابيرها المضادة . وفي أعقاب إلغاء الإتحاد تشكلت حكومة جديدة برئاسة البدر ولي العهد ، ولم يشارك في هذه الحكومة غير أمير واحد هو الحسن بن علي .

[IMG]nasaa.jpg[/IMG] ويستخلص من ذلك أن فترة الخمسينات ومطلع الستينات كانت فترة مخاض تمكنت فيها القوى الوطنية من التأثير على كل الصعوبات والنكبات التي واجهتها وأن مسألة ولاية العهد باعتبارها من أهم عوامل الخلاف بين الأسرة الحميدية الحاكمة قد قتلت في تلك الفترة أخطر نقطة ضعف في موقف الأسرة .

مبايعة البدر إماماً لليمن

وما أن تم دفن الإمام أحمد وعلى مدى أسبوع حدثت تطورات كثيرة كان من أبرزها على صعيد السلطة هو اتفاق العناصر الحسنية التي كانت مناوئة للبدر على الالتفاف حوله وإظهار تأييدهم له كخليفة على اليمن بعد أبيه ، ولم يبق إلا أن يبعث الأمام الحسن بورقة التأييد والمبايعة للإمام الجديد من منفاه في الولايات المتحدة ويعود للبلاد مع بقية الأمراء الذين كانوا في الخارج.

أما على الصعيد الشعبي فقد توافد الكثير من القبائل إلى مدينة صنعاء بهدف المبايعة للإمام الجديد ، وقبل قيام الثورة بأربعة أيام توجه المشايخ إلى بيت حسن إبراهيم " وزير الخارجية" والذي كان البدر قد كلفه باستقبال الناس واستلام البيعة منهم ، ولكنهم قبل التوجه إلى "دار البشائر " مقر الإمام عقدوا إجتماعاً موسعاً تم فيه تحرير صيغة المبايعة مشفوعة بعدد من المطالب ومنها بناء مدارس ومستشفيات وغيرها . وكلف الجميع الأخ علي عبد الله القوسي بقراءة الكلمة .

ولكن حسن إبراهيم رفض المطالب التي عرضها عليه المشائخ وأعتبرها تطاولاً على الإمام وانتهت الأمور إلى ذلك ولم تتم مبايعة الإمام.

وبينما كان الشعب اليمني ينتظر من الأمام الجديد تحديد ملامح حياة جديدة في أول خطاب له بعد تربعه على عرش الإمامة إذا به يؤكد بأنه سيسير على النهج الذي سار عليه أباؤه وأجداده وأنه سيضرب بيد من حديد كل من تسول له نفسه مناهضة الحكم الجديد وقد أحدث هذا الخطاب رد فعلاً واسع في أوساط العناصر الوطنية وفي مقدمتها تنظيم الضباط الأحرار مما أدى إلى تفجير الثورة.

بعد رفض الزعيم حمود الجائفي فكرة قيادة الثورة ، تم التوصل بعد جدال طويل أتسم بروح المسئولية إلى ترجيح الزعيم عبد الله السلال لقيادة الثورة وقد وافق على ذلك بقناعة تامة دون قيد أو شرط.

وفي الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الأربعاء 25سبتمبر فرضت حالت الطوارئ في الكلية الحربية ومدرسة الأسلحة وصدرت توجيهات من القيادة بتواجد جميع الضباط ومنع خروج أي ضابط من الكلية إلا من كلف من قبل القيادة بمهمة، وأنصرف الجميع كل إلى سلاحه لاستكمال التجهيزات النهائية وتعبئة الدبابات والسيارات بالوقود ، وتم الاتفاق على أن لا تفتح مستودعات الذخيرة إلا في وقت متأخر وكان لابد من التأكد من خروج الإمام البدر إلى ديوان المواجهة في قصر البشائر وتم تكليف النقيب حسين السكري لمعرفة ذلك، وتم اللقاء بالسكري وأكد بأن الإمام البدر قد خرج ليرأس إجتماعاً لمجلس وزرائه.

وفي الساعة الثامنة وبعد أن تحدد موعد التحرك في ليلة السادس والعشرين من سبتمبر أمرت القيادة بفتح مستودعات الذخائر والأسلحة الخفيفة وتوزيعها على

عدد خاص يصدر عن صحيفة

14 أكتوبر
14 OCTOBER
يومية - سياسية - عامة

بمناسبة أعياد الثورة اليمنية الخالدة